أحزان صامتة

مجموعة قصصية

بدرية العتيبي

اسـم الكتـاب: أحزان صامتة

اسـم المؤلـف: بدرية العتيبي

الترقيم الـدولي:**978-977-6666-15-3**

جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع © محفوظة لدار المحرر الأدبي للنشر والتوزيع المشهرة برقم 24821 بتاريخ 2015/10/1. ومقرها جمهورية مصر العربية / محافظة الجيزة.

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون موافقة قانونية مكتوبة من الناشر يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

إهداء

لِكلّ الذين يؤمنون بأنّ البوحَ الحُرّ، هو سجيّة الرُّوح الحُرّة.

لِكُلّ الذين يَنأون عن تعليب الإبداع في القوالب الجاهزة .

مقدمة

لم يستقر الجدل حول تداخل الأجناس الأدبيّة على رأي محدد، ففي الوقت الذي نجد فيه من يحاول إلغاء الحدود الفاصلة بين الأجناس السرديّة ، ويدعو إلى التّماهي بينها ، نجد من يرفض هذا التداخل, و يُصرّ على أنّ وجود بعض السمات المشتركة بين الأجناس الأدبيّة لا يعني بالضرورة الإقرار بتداخلها إلى الحدّ الذي ينتج معه جنس جديد, يحمل صفاتًا من هذا و ذاك[1] .

هذه الإشكالية النقديّة - وإن كانت أظهر في الرواية من غيرها, إلا أنّها- في نظري- يمكن أن تنطبق على باقي الأجناس الأدبيّة, فالرواية التي كانت تُستثنى من هذا الجدل؛ لأنّها جنس جديد, ما عادت كذلك, في زمن أصبح القرن فيه كلّ خمسة أعوام!

هذه المجموعة القصصيّة جاءت حُرّة بعيدة عن كلّ هذه الإشكاليّات؛ لتنطق بروح الأدب, كما أُلقي في روعها. وكُلّي أمل أن ترتقي للذائقة العربيّة.

[1] الرياحي ، كمال . (2004) . حركة السرد الروائي ومناخاته ، دار أمية ، تونس ، صفحة: 7.

قصص قصيرة

لتسعِ رسائل مُتعثرة

الرسالة الأولى

(تِشْرِيني)

في مساءِ ليلةٍ تشرينية..

وبعدَ فراقِهما بثلاثة أعوامٍ كتبت له:

أيُّها التّشريني:

ما زلتُ متورطة بك!

هـا أنـتَ كمخلـوقٍ مـاورائِي, تـأتي بفوضـوية متقنـة؛ لتُصّـرَ على اقتحامي, وتنجح!

ككلِّ الأشياءِ التي تتراكم في داخلي, وتظلّ حيّة لأنّها تستحق البقاء.

هأنذا كعادتي أنسجُ لك الأعذارَ.

حتى صـمتُك الـذي طالمـا كنـت تمـرره بحجـة أنّـك لا تُحسـن فـتح المواضيع، -والـذي طالما أغضبني منك- علّمني غيابُك كيف ألتمسُ له الأعذار.

لم تكنْ من الذين يصُفّون كلامًا معلّبًا, وهذا هو سرّ تعلقي بكِ.

أيُّها الصّامتُ حدّ الضّجر، والمتحدث حدّ الإدهاش:

هل تعلمُ أنّك عندما تتحدثُ يحتشدُ كلُّ هذا العالمِ؛ لينصَت لك؟

يا صعب الإدهاش:

اشتقتُ إليكَ حتى أني أتمنى لو أنني أمتلكُ قدرة على قصِّك من عالمِكَ وإلصاقِكَ في عالمي.

هل كنتَ نزوة؟

لا أظن !

النزواتُ لا تجعلُنا نمتلكُ كلَّ هذهِ القدرةِ على التّخاطرِ.

وحدهُ الحبُّ حتى الرّمقِ الأخيرِ يفعلُ ذلك.

أيُّها المتوقدُ فيّ رغم هذا الانطفاء:

هأنذا مازلتُ أتنفسك كُلّما اختنقت.

على أنّكَ النّهايةُ التي أخذتْ في طريقِها كلَّ بداياتي.

أكتبُكَ؛ فتنزلقُ فيّ بِكُلِّ سلاسةٍ؛ لتتجسّدَ منْ جديدٍ, وأحيا بِكَ مِنْ جديد.

يا هاجسي:

أنا كالصقورِ تمامًا.

أخضعُ لعمليّةِ تغييرٍ مؤلمة؛ لأولدَ من جديد.

إلا إنني أشدّ تألما منها.

هي تخضعُ لها بعد ثلاثين عامًا, وأنا أخضعُ لها كلَّ عامٍ بمفردي!

يا (أنا) الذي أحياكَ:

هأنذا أُشعِلُكَ شمعةً مع كلِّ عامٍ جديدٍ؛ لأُجدِدَ بِكَ مولدي.

كلُّ عامٍ, وأنَا مسكونةٌ بِك.

قرأَ رسالتَها.

لمعَتْ عيناهُ.

ضَحِكَ سوادهما.

ابتسمَ.

تَعبّأَ زهوًا.

مزقَ رسالتَها..

ومضى!

الرسالة الثانية

(اعتر افات متأخرة)

غيثٌ يبللُ قلبك الحاني

فيضئ وجهك للمحبينا

.....

لم يجدْ مَنْ تحتويهِ بصدقِها, بعد أنْ زهِدَ في قلبِها الرّحيمِ.

كلُّ نساءِ الأرضِ ما عدنَ قادراتٍ على ترميمِ يُتْمِ قلبِه, وردمِ هُوّةِ الحرمانِ فيه.

ما عادَ قادرًا على معالجةِ همومهِ بمفرده.

تحيّنَ الفُرصَ؛ لاقتناصِ مساحةٍ منها.

وعندَ أوّلِ تلويحةٍ مِنْ بعدِ الغيابِ كتب لها:

يا فاتنتي:

أنا شاسعٌ واسعٌ، وكثير!

لا أحتاجُ منكِ أنْ تُشكّليني؛ لأناسبَكِ.

رُعبُكِ الدائمُ من أفكارِي التي ما عدتُ استشيرُكِ فيها، يزيدُكِ مِنّي ريبةً، فلا تتصدقي عليّ ببعضِ أسرارِك؛ لترمي بي في شِراكِ البوح.

حسنائي:

بعيدًا عن كوني مورقًا بالقلقِ عليكِ مؤخرًا:

أنا - في النّهايةِ- متصالحٌ مع المألوفِ.

متأقلمٌ مع كُلِّ الأقدارِ التي تُعَاكِسُه.

أعرفُ كيفَ أُذيبُ تفاصيلي في كلِّ الأقدارِ التي تُعاندُني؛ فأنا:

"رجلٌ يعتادُني الصّبرُ من حينٍ إلى حينِ"

هكذا تربيت.

الرّجلُ يجربُ كلَّ شيءٍ.

ويحتملُ كلَّ شيءٍ.

وإنْ سُلبتْ مِنهُ الحياةُ

عليه ألا يبكي على شيء!

الرّجلُ الحقيقيُ: متى ما قَطّبتْ في وجهِهِ الحياةُ، لديهِ ألفُ مخرجٍ ومخرجٍ للطوارئ.

هكذا!

وبكلّ هذهِ القسوةِ!

وهذهِ اللامبالاةِ بقلبٍ، أو شعورٍ؛ يعيشُ الرّجلُ الشّرقيُّ في بلادنا.

أنا لا أصلحُ للانسكابِ في داخلِ براويزِكِ الجاهزة, مهما أنّقتِها لي؛ لذا وفرِي عليكِ

كُلَّ هذا العناءِ.

تذكري فقط:

أنّ الرّجُلَ الذي لديه الجرأةُ على أنْ يُغادرَ حُبًّا ليس من نصيبهِ. هو رجلٌ صادقٌ لا يتسلى بكِ!

وحتى أُبرهنُ لكِ صدقي سأخبرك بما أفنيت ِعُمرَكِ لسماعه منّي:

أعترفُ أنّ حُبّي لكِ يأخُذُني إلى مناطقَ وَعِرةٍ- أنا نفسي أخشاها- يُحاصِرُني بهالةٍ من الدهشةِ الدائمة.

كنتُ أعلمُ أنّكِ مُنْذُ البدءِ تصنعينني على عينك؛ لتصطفيني لنفسِك.

وأنا في كلِّ هذا أقتني ذوقَكِ، وأتشبّهُ بِكِ بعيدًا عنكِ.

أُردِدُ في غيابِكِ مُصْطلحاتَكِ، وطريقتَكِ في التّهكُّمِ منْ كُلِّ العثراتِ التي تعْترضُكِ.

أنتشي، وأشعرُ بي أملأُ هذا العالمُ كُلّما تحسستُكِ في قلبي.

أُخذتُ بكِ من أوّل حديثٍ جمعنا.

كنتِ نقيّةً, بيضاء، وواضحة جدًا.

في البدءِ شعرتُ بأنّكِ أنثى تَصْلُحُ أنْ تكونَ ضمادةَ جراحٍ...

مع الوقتِ أيقنتُ بأنّكِ أعمقُ جُرْحٍ لنْ أجدَ لهُ ضمادة!

سُهُولتُكِ كثيرةٌ على مُعَقّدٍ مثلي.

كنّا مُتَفاهِمَينِ في كلِّ ما نفعل..

لا أعلمُ كيفَ, ومتى استطعتِ بِقُدرةٍ خفيّةٍ, أنْ تجعلِي مِني بسيطًا بما يكفي للتداخل.

معكِ كُلُّ الأشياءِ تنسلخُ مِنْ تعقيداتِها.

يتمزقُ كِبرياؤها, وتهشّمُ غطرستُها.

كنتِ تنتزعينَ في كُلِّ مرةٍ ريشةً منْ قلبي, وأُخرى منْ على رأسي.

تثقُبينَني بعينيك، وأنتِ تسألين فيّ تعقيدي الفظّ:

- فيم أخطأت؟!

بعفويتِكِ تُعيدينَني إليكِ وأنتِ تحاولينَ إقناعي بأنَّ منْ يُحبْ يسامحْ.

تمتلكينَ طُرُقًا استثنائيةً في سكبِ الألمِ, والأملِ معًا.

توجعينَني بمنتهى الحنان!

صوتُكِ الدافئُ، يتسللُ إلى قلبي؛ ليغرسَك باعتذار.

لا تتركينَ المواضيعَ مُتَجمّدةٍ في المنتصفِ.

في حينِ أتعمدُ أنا تركَها؛لتُذِيَها الأيّام.

تُفتِتِينَني مِنْ الدّاخلِ, كُلّما اعتصرَ البكاءُ وجهَكِ بِسَبِبي.

معكِ أشعرُ باختناقٍ رائع.

أحبُّ تفاصيلَكِ العارِية.

حِدةُ أسئلتِكِ التي تُخِيفُني, لا أملكُ معَها إلاّ أنْ أكونَ صَادِقًا رُغمَّ كذبي!

كُنتِ خَلِيطًا منْ الملائكيّة والشراسةِ والطفولةِ والشيطنة.

تَظهرين في حياةِ أحدهِم؛ لتكوني الأولى, والأخيرة.

أنتِ كثيرةٌ بشكلٍ يجعلُ من الصّعبِ مُحاصرتِكِ، ونسيانِك.

بِكّلِّ هذا كانتْ جَذُوةٌ منْ رُوحِكِ تحومُ حَولي كُلّما افترقنا.

أعلمُ أنّ الأسئلةَ تنخرُ صدرَكِ قبلَ رأسِكِ منّذ رحلت، سأريحُكِ:

أنتِ صِنفٌ منْ النّساء، لا يمكنُ أنْ يُحبُّ معه, أو بعده!

حَكِيمةٌ وراقيةٌ للحدِّ الذي يجعلُني أخشَاكِ، وأشكُ بعدكِ في قُدُراتِ أيّ امرأةٍ تُفكّرُ باحتلالي.

يا ملهمة:

للواقعِ أنيابٌ كثيرة!

إذا برزَ لكِ واحدٌ منها؛ سيؤذيكِ، ولن تسامحيني أبدًا.

أُتركّيني أرحلُ بصمتٍ, ولا تغضبي منّي أرجوكِ.

تركتُكِ بسببي، ولأجلِكِ.

لا بسببِكِ, ولا لأجلي.

قرأتْ رسالتَهُ:

شمّتْها..

ضَمّتْها..

بكتْ فرحًا..

أورقت.. وأزهرتْ .. وهطلتْ, وهي تُتمّتِمُ:

"قَليلٌ منكَ يَكْفيني ولكنْ ... قليلُكَ لا يُقالُ لهُ قَليلُ"

الرسالة الثالثة

(أنثى العاصفة)

أحن كثيرًا لطيشي معك

وأفرح إذا ما الحنين أوجعك

لأنك مني.....إليك أعود

كستك المشاعر ثوب الملك

أغث قلبي الصد مما جرى

حرمني حبك لذيذ الكرى

أسافر منك.....إليك أعود

بدعوى الأماني وتلك الوعود .

.....

بعد انتقالها إلى المنزل الجديد, وفيما هي تُفرّغُ بقيّة الصناديق؛ وقعتْ عينُها على (رسالة الذّل) كما كانت تُسميها.

تلك الرسالة التي كانت كفيلة بأنْ تُغيَّر مجرى قلبها؛ ليصُبَّ في عقلها مباشرة من بعد ذلك التاريخ.

ترددتْ في فتحها كثيرًا..

ليس أصعب من أن تُعيد مشهدًا بغيضًا, يُعرّيك أمام نفسك, بعد أن بذلت الكثير؛ لتنساه.

تشاغلت عن التفكير في الأمر, وبدأت تُقلّب بقيّة الصناديق, ثم ألتفتتْ مرة أخرى للورقة.

أمسكت بها, وبقلبٍ يخفق هلعًا.. جزعًا.. ذلًا.. !

تشجّعت, وهي تمتص الهواء, كمن يشمّ وردة, وتزفره, كمن يُطفيء شمعة.

هكذا كانتْ تفعل كُلّما أرادت أن تتخلص من توترها.

فتحتها, وبدأتْ تقرأ بقلب وجِل:

أنا المرأة العاصفة التي طالما خشيتها.

أقفُ أمامك الآن، وأنا بكامل قواي العاطفية؛ لأخبرك:

كم أنا مهزومة، وأحتاج إليك.

أقضي وقتي من بعدك بالتمدد ..

ها أنا أتمدد..

وأتمدد...

وأتمدد!

إلى أن ارتطم بفيض الأسئلة, التي تضطرني أن أتوارى عنها وراء ضعفي.

التفاصيل التي تضخ نفسها في ذاكرتي, تحيلني إلى سجن مأهول بك.

أحاول أن أُعيد صياغة نفسي؛ لأناسبني من جديد ولا أفلح!

أنا المرأة العاصفة التي طالما خشيتها!

أخبرك وأنا بكامل قواي العاطفية:

إنني توقفت عن السير بعدك.

وحدك كنت تُميط الأذى عن طريقي.

وتمنحُني كلّ فرص المضي.

وهبتني أجنحة التحليق ،خارج فوضاي.

رتبتني..

هذبتني..

علمتني كم أنت مذهلٌ ومُحيّر!

أنا المرأة العاصفة التي طالما خشيتها.

أقول لك, وأنا بكامل قواي العاطفيّة:

عدّ.

فأنالا أصلح لشيء بدونك.

ا. هـ

قصاصة أُخرى عالقة بها, وبتاريخ مغاير:

"صباح الخير أيّها الغاضب رغم اغضابه لي:

أحارُ؛ كيف أُحرِر حُبيّ لكَ من غضبي عليك! وأنا التي لا تعرفُ كيف تَفْصِلُ بين هذين الشُّعورين إلّا بعد أنْ تُفجِّرَ سخطَها في وجهِك، ومهما كانتْ ردة فعلك أسامحُك وأندمُ، وربما أعتذر أيضًا!"

ا.هـ

قصاصة ثالثة.. ورابعة.. وعاشرة .

وقعت عينها عليها, لكنها اكتفت!

أنهتْ الرسالتين هذه المرة دون أنْ يتفجّر صدرها بالحنين.

هي الآن لا تشعر بأيّ شعور قرأته هنا.

هل شُفيتُ منه تمامًا؟

ربما شُفيت!

لكن ليس تمامًا!

بقي أنْ أسْخرَ من هذه الجراح, حتى أتأكد من أنّ حُمّاها لن تُصيبني من جديد.

ألـم يقولـوا:" نحـن لانُشـفى مـن جراحنـا تمامًـا, إلا عنـدما نسـخر منها؟"

جربت..

هه!

ههه!!

اعتصرت ملامحها.

ثم أجهشت بالبكاء وهي تردد:

ليس بعد!..

ليس بعد!

الرسالة الرابعة

صباحات مسافرة

وأسرجتُ خيلي لليل الهمومِ

"ألا أيّها الليل عنّي انجلي!"

فبلستُ جرحي وخلتُ الغيوم

تحطّ بأرضِ الهوى المُهملِ

.....

لم ترفع نظرتها عنه, وهي تتلو عليه رسالتها الصباحيّة المعتادة:

"كنت أعلم جيّدا بأنّ الصباح الذي درّبتني على حبّه حتى عشقته، لن يخذلني!

وحده الصباح كفيلٌ بأن يملأني بك.

لا شيء تغير.

سابقًا:

كنت أحياه لأجلك ومعك.

الآن:

صرتُ أحياه بنكث خزانة الذاكرة, وإعادة ترتيبها.

ولأنني رغم حزني متفائلة دعني أقول لك:

أجمل ما في هذا الفراق أنني اكتشفتُ كم أحبك.

كلّ التفاصيلِ لم تغبْ أبدًا, وأشياء أخرى لن أخبرك عنها!

تعرف:

الانكسار الذي تغلغل في عيني وصوتي مذ رحلت, هو الآخر دليل حيّ على سُكناك بي!

صحيح أنّ رحيلك زاد من صمتي وإطراقي.

أصبحت متقلبة ومزاجية إلى حدّ ما.

لكنني لم أتشوه من الداخل، فأنتَ جمالٌ لا يتشوه بك الجوف مهما حدث.

نسيتُ أن أخبرك بأنني وجدتُ حلًا للوحدة من بعدك!

صرتُ أغرق في ذكرياتي بك!

أعانقها، ونغرق في حزن بعضنا البعض.

حتى تتسلل حزمة ضوء؛ لتترك بقعتها على روحي كلّما حضرتَ في الذاكرة.

هكذا يمضي الوقت, و لا أشعر بالوحدة.

أرأيتَ كيف أنني ممتلئة بكِ حتى في غيابك؟"

حان وقت الدخول يا سارة.

صوت يتحدث بحنان, تُغلّف الضحكة نبرته وكأنه يتحدث لطفل:

الجوّ بارد هذا الصّباح... أليس كذلك؟

ابتسمت سارة, وقبّلتْ الصّورة, ثم خبّأتها عن البرد, وهي تكرر كطفل:

الجوّ بارد هذا الصّباح.

كان الطقس باردًا في فناء تلك المصحة النفسيّة.

تحركت العربة بهدوء إلى الداخل حيث تسكن الروائية الشهيرة سارة من سنتين بعد حادث أفقدها زوجها, والقدرة على أن تكون سويّة من بعده.

الرسالة الخامسة

ابتسامة عطر

هل زارك الحزن عند الفقد/ أبكاكَ؟

أم هل تجرّعت مرّ الشوقِ/ أضناكَ؟

يا سائق الحزن أسجج في معاقبتي

واذكر سنينا مضت إذ كنت ليلاكَ

.....

كُلّما احتاجت أنْ تتقيّأ حبه لعدة أيام أُخر كتبت له.

وفي كلّ مرة كانت تحصلُ على نفس النتيجة التي تريد أن تحصل عليها, إلا المرة الأخيرة التي كتبت فيها:

على مدّ البصر كنتَ تقف.

تأبى صورتك إلا أن تَعْلق في ذاكرتي, كُلّما خِلتُ بأنّ ملامحك قد تاهت مني.

لا يكتفي الشوق مني في اليقظة حتى يلاحقني في نومي.

رأيتها!

نعم رأيتها !!

تلك الابتسامة النابعة من قلبك.. رأيتها!

كنت عندما تبتسم, يبتسم سواد بؤبؤيك .

كانا يُشعان بحبّ.. وينظران بحبّ.

عاد عطرك؛ ليتسلل إلى كلّ خليّة في جسدي حتى ظننتك بجواري!

من بعدك صرت حذرة في السماح للآخرين بدخول عالمي.

كثيرون حاولوا حرق المراحل؛ ليصلوا إلى حيث كنتَ. لكنني لم أسمح لهم.

الآن تذكرت كيف بدأ كل شيء.

لا أملك أمامه إلا أن أبتسم بحزن.

خفة دمك, وسلاسة روحك؛ جعلت مداراتي. تلتحم بعالمك دون قصد.

تذكر؟

كنّا نقضي الساعات دون أنْ نتحدث عمّا نشعر به.

إلا أن افتقاد أحدنا الآخر كان يفوق تسمية الشعور ووصفة.

يا صديقي :

أعلم أن أشواقي المتلاطمة لا تحتاج لتهدأ إلا للارتطام ببرودك, لتسكن, وتتلاشى .

لذا أنا أكتب لك؛ لأعود بخيبة تقيني لسعات الحنين القارسة.

كانت في انتظار خيبة بألا يرد, أو أن يرد على رسالتها بكلام جارح كما اعتادت منه.

بعث لها بعد دقائق:

افتقدك!

لم تصدق!!

تثبت من اسم المرسل..

إنّه هو!

في وسط سعادتها العارمة, وقبل أن تساءله عن سرّ عودته, ليرد: بأنّه ما نسيها قط.

كان هو على الضفة الأخرى يمرّ بتجربة حبّ فاشلة للمرة الثالثة, خشي أن تكون هي رابعتهن بعد لفظة: (ياصديقي) الذي جاءت في رسالتها.

كان في غنى عن مشاعرها البائسة.

فقد "نقّلَ فؤاده حيث شاء من الهوى"

الرسالة السادسة

قلبٌ بين ضفتين

أشح بوجهك

أوصد باب ذاكرتك

دعني أعالج وحدي

خيبتي فيكَ

اعتدتُ منكَ الجفاء المرّ أزمنة

"ماضرني السلخ "

في تأبين ماضيكَ

.....

كتبت إليه بعد أن سكبها الحنين للمرة الألف عند بابه:

"الصباح الذي كان يقودني إليك ما عاد يفعل!

أصبحنا نتنفس الصبح على ضفتين مختلفتين.

قلبي الممتلئ بالتفاصيل يرهقني من مولد الصبح حتى آخر مواعيد اللقاء.

المؤلم أنني رغم السنوات التي كانت كفيلة بتنحيتي عن عالمك ما زلت أحيك التفاصيل كأنها ما غابت قط!

ذاكرتي تثرثر كثيرا ..

بك..

عنك..

وحولك..

كلّ الطرق مازالت تؤدي إليك وتقف بي عند بابك!

أنثى باليـة الـرّوح, يتصـدق عليهـا المـارة عبـارات الثنـاء بسـخاء, فـلا تبتهج لها-حتى وإن هشت بها على حزنها-!

عباراتك البخيلة كانت ألذ وأشهى!.

كانت تخرج من قلبك!

هذا ما أعيه, وأصدقه!

لا أدري بعد كلّ هذه السنوات كم أنثى عبرتك !

وأيهن بسطوعها أزالت عرشي!

لا أثق في شيء..

ولا أريد أن أثق إلا في أنّك ما زلت مسكونًا بي, كما أنا مسكونة بك!"

لم يرد!

قلقتْ عليه كعادتها.

كان احتمال أن يكون بخير عندما لا يرد على رسائلها, هو أبعد احتمال تضعه من فرط محبتها له.

أردفت برسالة أخرى؛ لتتأكد أنّه بخير, حتى وإن جاء مضمونها لا يوحي بذلك وعنونتها بـ (غيمة عابرة)

"كغيمة عابرة ألقت بها الريح؛ لتبللني وتمضي.

استشعرتُ معها كيف يمكن للحياة أن تكون سخيّة لبعض الوقت.

جئت تنضح من الذاكرة.

كحزن مُعتّق وعميق.

كهواء محبوس، ظل محتفظًا ببقايا عطر.

من بعدك ،صار للأحزان رئتان تتنفس بهما.

لا أتذكر أيّنا استأصل الآخر من حياته.

لكنني أتذكر أنني سهلت عليك فرصة أن تبدأ مع امرأة جديدة، أغار منها من الآن حتى من غير أن أعرف من تكون!

سأحملك دائما في مخيلتي، رغم الركام الذي في داخلي.

ذاكرة مُخضّرة بك لامرأة صارت بعد الجراح أكثر ثقة.

أكثر عمقًا من بقيّة النساء.

حصنها منيع .

لا تسمح للكثيرين بعبور حدودها!"

رد على رسالتها برسالة من سطرين قصيرين:

لا أريد أن أرى رسالة منك بعد اليوم!

أعيش مع الأصدق, فلا تفسدي عليّ.

أرسلها وهو يبتسم لانتصاراته عليها!

كان يعرف كيف يوصلها حدّ الجنون في كلّ مرة ترسل له.

يعلم أنّها بعد هذه الرسائل المستفزة, ستمكث أياما بلياليها عند بابه؛ لتطفئ حرائق قلبها.

هذا هو الضمان الوحيد حتى لا تبرحه طيلة حياتها.

الرسالة السابعة

براءة

على النّحو الذي يرضيك عنّي

تعيش الرّوح فيك بالّتمني

وتلبس من بها الصبح لونًا

يغنّي منه سًّرا من يغّني

.....

كان حزينًا يدس وجهه بين كفيه في مجلسه الذي لازمه خمسة أشهر أو تزيد مذ أن طُرد من عمله لكثرة غيابه.

جاءته متهللة كعادتها في محاولة لإثبات أنّه حتى وإن خسر كلّ شيء ليس عليه أن يقول : إنّه فاشل.

سكبت له الشاي وفتحت مواضيع كثيرة لم تسترعِ اهتمامه..

نوّعت.. داخلت..

نظرت إليه بامتنان وقالت:

قلبك الذي لا يتقن ملامسة النساء بسهولة, سأمتن له ما حييت.

لم يجعل منك فريسة لهن، ولم يجعلني فريسة لغيرتي المجنونة.

أتذكر جهلك بالنساء؟

أتذكر بوابة المعرفة التي جعلتُ من أغوارها بئرًا تمتح منه بدهشة؟

كنتُ حمقاء وأنا أطالبك بصفّ الكلمات لي.

وجهك الذي كان يحتقن خجلًا بابتسامة المستسلم؛ لتقول كطفل لعثمه الحياء: ماذا أقول. كلّما طلبت منك أن تقول فيّ كلامًا حلوًا كأوّل زواجنا, وتعود في المساء لتكتب

أقوالك قصيدة فاخرة, تتوجني بها ملكة على عرش قلبك.

أتعلم؟

كنت أشفق عليك مني!

أنا الجامحة.. المتمردة.. المتنمرة..

الحمقاء..!!

نعم حمقاء أمام هدوئك الرزين.

أتذكر غيرتي المجنونة عندما ألمحتْ إحداهن لك بنظرة مشبوهة؛ لتستفرني لأنني كنت ممسكة بيدك في مكان عام؟

يومها تسببت لك في موقف مُرّبك، أرعن لات حُسد عليه.

ومع ذلك كنت تخشى عليّ منّي!

قرأتُها في عينيك ليلتها.

جعلتُك تضطر أن تعتذر من الجميع, وتكتفي بالانسحاب؛ لتنفجر ضاحكًا في السيارة عوضًا عن تفريغ انفعالك منّي بصفعة.

أنا التي حيّرتْك؛ لأنها لاتشبه أمك.. لاتشبه أختك.. لاتشبه خالتك.

أنا التي جعلتك تجالس المُسِّنات على مقاهي لبنان؛ لتستشيرهن في تصرفاتي التي لم تجد لها تبريرًا مقنعًا, يتناسبُ مع عقلك الذي يُفسرُ الحبّ الصادق بالاهتمام الصادق.

جامحة بقلب طير كنتُ أنا!

لا يرضيها منك عقد الألماس إذا لم تقدمه لها بالطريقة التي تلامس قلبها.

مالم تتقن التعبير عن فقدك لها, كلّما عدت من الغياب.

ممتنة لتلك العجوز التي أخبرتْك أن مثلي ترضيها قصيدة شعر، لا عقد.

ممتنة لها؛ لأنها أخبرتْك أنني أحبّك, وإلا ما قمتُ بهذه الحماقات.

ممتنة لها؛ لأنّها استطاعتْ أن تُقنعك بما لم استطع أنا فعله.

كنت أرتضي منك أن تسمي كل أشياء النساء بأسماء خاطئة دون أن أسخر منك.

أضمر في داخلي ابتسامة رضا كبيرة لأخبرك عنها؛ لأنها كانت بالنسبة لي خير شهادات الطهر والعفة.

رواياتي وأفلامي الهندية التي كنت أصاب بعدها بحالة من التشبث بك، والتي كنت تراها جنونًا لابد أن أكف عنه, كانت تملأني بك.

لطالما كنت تردد:

"قصص الهوى قد جننتكِ

فكلها غيبوبةٌ وخرافةٌ وخيالُ"

كبرت.. ومشاعري المجنونة لا تذكر لك إلا الامتنان.

علمتني أنّ الحب اهتمام.

وأنّ "الحروف تموت حين تقال."

علمتني أنّ بعض الرّجال الذين يحبون بصدق قد لايحسنون الكلام المباشر, لكنهم يتقنون صبّ قوالبه في اهتمام.

في قصيدة خالدة, تفصِّلها على مقاسي في قلبك.

شكرا؛ لأنّك كبحت جموحي النافر.

هذبتني دون تعذيب.

علمتني بصبرك أن المحبين يصبرون.

ها قد كبرنا سويا.

صرتُ أحبكَ أكثر.

بدفء.. بعقل كما كنت تريد.

لقد نجحت في تغييري رغم صعوبتي.

لمعت عينه وهو يستمع لجملتها الأخيرة.

- لم يؤذكِ فشلي ؟

أومأت برأسها (لا)..

- ثم من قال بأنّك فاشل؟

- على هذا أنتِ لست غاضبة من جلوسي دون عمل؟

- غاضبة لأنك رفضت الفُرص الأخرى, بحجة أنّها دون مستواك.

أقبل بالعمل الشريف وتذكر شرفه, تذكر أنّك في وطنك, كلّ عمل شريف ترفع به أسرتك ووطنك ليس عيبًا صدقني.

العيب كلّ العيب أن تظل عالة.

ثم إنّك رغم مكوثك دون عمل ما زلت تصرف علينا, ما زلت تخرج كلّ صباح بحثًا عن عمل.

بابتسامة رضا قال:

- أنا لا أخرج كلّ صباح بحثًا عن عمل.

أنا في كلّ صباح أخرج للعمل على سيارة أجرة لصاحبي, وانتظره حتى يخرج من عمله لاقتسم معه الأجر, وأعود محملا باحتياجاتكم.

كنتُ أخشى أن تكتشفي الأمر, وأسقط من عينك, ومن شدة خجلي من أن يعرفني أحد , كنت أرتدي الزّي الباكستاني .

وضعت يدها على خصرها وهي تردد:

- الله ! الله! الله!

قل: إنّ عملاءك من النساء؟!!

- وماذا عن محاضرة الامتنان التي حاضرتي بها منذ قليل؟

ضحكت, وحمدت الله أنه عاد ليبتسم ويبوح.

حمدت الله, أنها تأكل معه حلالًا طيّبًا.

الرسالة الثامنة

كاتبة

"جس الطبيب خافقي وقال لي:

هل هنا الألم ؟؟

قلت له : نعم

فشق بالمشرط جيب معطفي وأخرج القلم !!

هز الطبيب رأسه.. ومال وأبتسم

وقال لي: ليس سوى قلم

فقلت :لا يا سيدي

رصاصة.. ودم

وتهمة سافرة.... تمشي بلا قدم ! "

تعيش في انزعاج دائم!

ملّت عدم توافقها مع من يحيط بها.

كلّ يوم تعاني منهم, أوهم يعانون منها.

قلّما تتفق معهم.

قررتْ أن تضع حدّا لغربتها بينهم, بعد أن قرأت لوحة إعلانيّة عن طبيب نفسيّ حاذق.

ودون أن تخبر أحدًا, حجزت موعدًا, وجلست على كرسي الاعتراف الذين يؤمن به هؤلاء الأطباء.

أغمضي عينيكِ يا شجن وحدثيني عن أوّل ما يخطر في بالك..

أغمضت عينيها وبدأ لها الأمر كتطهير لأشياء ستلفظها للمرة الأخيرة, وتلتهم بعدها عقارًا لإعادة ترتيبها لتتناسب معهم, وبدأتْ:

في الليل:"

أرتدي ثوب عفويتي بعيدًا عن أيّ مثالية.

أكون أنا.

بكامل تناقضاتي وفي أشدّ حالاتي صدقًا.

أتحوّل كائنًا ضئيلًا ضمن الموجودات ..

أتحرك عبر الفراغ، وشيئًا فشيئًا أنسحب إلى داخلي وأتقوقع.

أدخل طيفًا, وأخرج طيفًا, وبين الطيفين أحاول أن أنهل من ماء الطمأنينة.

تزورني أكثر أحلامي حموضة؛ لتخدر العلاقة بيني وبيني.

أتسلل إلى ذكرياتي؛ لأصنع منها عالمًا فسيحًا.

أمشي فيه حافية على شوك الأوجاع.

أحترف البكاء كلّما تفقدت قلبي.

أِبعثر ما اختبأ مني في ثرى الأحزان؛ لأزهر من جديد.

أكون مُفرغة من كلّ شيء إلا من صوت قلبي، الذي جعل من الذكريات دثارًا

يحميه من تقلّبات الفصول.

تسمو روحي فوق طينية جسدي، مرتدية ثوب الحكمة التي تتلبسني، وأنا أقبض على الزمن الهارب مني.

أتلمس طريقي بالبصيرة، لا البصر.

أجثو عابدة، كلّما صعب علي ابتلاع خيباتي التي لا يبددها غير السجود.

تمطرني الأحزان؛ لتصنع مني إنسانة أخرى.

تستحق أن تهرب للفرح تاركة وراءها أشياء كثيرة لا تريد أن تتذكرها.

ينهض طائر الفقد؛ ليفتح كلّ باب للحزن.

يأخذ بيدي؛ لأكون إنسانة جديدة جسدًا وروحًا.

وفي الصباح:

أكون أنثى صباحية ترسل من قلبها النور للكون، وتمارس الحياة بحبَ."

كادت أن تفتح عينها, إلا أنّ الطبيب أمرها أن تكمل..

فاسترسلت:

"هذه الأيّامُ تمرُّ عليّ سريعة لكنّها ثقيلة.

عاصفة من الأفكار تجتاحني.

تتصارع في ذهني حيال عدة قرارات تجاه نفسي والآخرين.

تغيرت..

نعم تغيرت!

صرت هشّة!

تبكيني مساحات الحنين التي تتمدد في داخلي بلا رحمة.

يُجهشني كل ما يُشجي من أوّل لفظة.

أشعر أنني قصاصات ورقة لا تحمل وزنًا.

هانت على الرّيح، فبعثرتها في الفضاء غير عابئة بها.

لا!

لستُ بهذا الهوان أبدًا!!

أنا غيمة ماطرة، تقطر شهدًا متى شاءت.

تفيض كلّما تحسست قلبها.

علمتني الصِّعاب أنني يمكن أن أكون تلميذة نجيبة، بل ورياضيّة بارعة في قفز الحواجز!

ولأنّ الطيور على أشكالها تقع، فأنا لا أقع إلا على أرض خضراء، تُغيبني في أحشائها لتنبتني برعمًا بين الحشائش تدلله وتحميه.

كل ما في الأمر أنني بدأت أزاول الحياة بشكل أكبر، وصارتْ تفتح عيني على كلّ ما يدور حولي من أشياء لا تشبهني.

كنتُ مقيدة بقيود الذوق التي أدمتني.

وأنا اليوم حرة!

نعم حرة.

يمكنني أن استدل عليّ دون مساعدة!

بوسعي أن أقرأ تعابير روحي.

وأن أُحضّرُ قوائم طويلة بما تبقى مني و ما تبقى عليَ.

المسافة قريبة بيني وبيني لا تحتاج وسطاء."

ثم صمتتْ.

-الطبيب: أهذه شكواك يا شجن؟!

- شجن: نعم

- الطبيب: هم المرضى, لا أنتِ!

عليك بعلاجهم, قبل أن يتسببوا في مرضك!

الرسالة التاسعة

احتفال

عند ما كانت في الثلاثين من عمرها, و في ذلك الموقع الذي يمكنك أن تُضمنه تاريخًا معينًا وتبعث عن طريقه لنفسك رسالة تأتيك بعد سنوات, أرسلت لنفسها رسالة عن طريق موقع(فيوتشر مي) على أن تصلها الرسالة في يوم ميلادها الستين.

كتبت:

"بوسعي أن أكون بليدة هذا المساء تحديدًا!

لن أعبأ لشيء؛ فأنا في النهاية الشخص المتبقي لي!

كلهم ستختارهم طرقات الحياة يوما ما.

ستنشطر اهتماماتهم.

سيؤثثون لحياة قد أكون أنا فيها قطعة أثاث...

ربما مزهرية..!

ربما ممسحة...!

وربما لا شيء!

ياه!

الوقت تأخر كثيرًا، وأنا ألوك أفكاري العتيقة.

ليس علي أن أحتضن الدمار الذي بداخلي.

لابد أن أمنحه وقته هو الآخر.

من حقه أن يُعبّر عنه بطريقته، ولكن ليس على حسابي!

حسنًا!

لن أحتضنه!

ولن أربي انكساري..

ولن أهدهد الأوجاع.

فالوقت تأخر!

أظن أنني أقف في المكان الملائم مني الآن.

المساحة كافية ،ومفيدة ؛لأعيشني من جديد.

سأرسم لطفولتي بعض التفاصيل التي نسيت أمي أن تخبرني بها.

سأعيش الفوضى، ولن أفكر في ترتيب شيء.

سأعود طفلة وُلِدت الرابعة فجرًا من يوم عرفة.

سأرسم لجدتي تعابير الفرح، والذهول من هذا الكائن القادم بحجم قبضة الكف، المثير للشفقة.

سأضع مشاعري مكان مشاعر والدتي التي أطفأت النار عن سحور العائلة؛ لتضع حملًا خفيفًا لم يكلفها الكثير من العناء.

سأتلو على روحي عبارتها التي تجعلني أنتشي: "ليت كل ولادة مرت بي كولادتي إياكِ"

فأل خير!

نعم فأل خير!

فأنا لم أعذب والدتي بي مذ حللت ضيفة على عالمها.

والآن ماذا؟

لا شيء!

سأمارس كل شيء حولي بلامبالاة حتى تنتهي ساعات المخاض على خير.

سأخاف على أمي الألم..

سأشعر بها حتى تأتي الرابعة فجرًا، وأطفئ النار عن سحور العائلة..

ثم أقول لها:

كلّ عام وأنت أجمل أمّ لتلك الطفلة التي صارت أمًّا"

على أريكتها, وهي محاطة بأحفادها الذين لم يناموا, في انتظار حلوى العيد التي ستوزعها عليهم بعد العودة من الصلاة, استقبلت تلك الرسالة التي نسيت أنّها أرسلتها وهي في ريعان الشباب لنفسها.

بكت وهي تقرأ للمرة الثالثة:

"كلهم ستختارهم طرقات الحياة يوما ما.

ستنشطر اهتماماتهم.

سيؤثثون لحياة قد أكون أنا فيها قطعة أثاث...

ربما مزهرية..!

ربما ممسحة...!

وربما لا شيء!"

وتضم صغار الأبناء الذين ما برحوا بيتها قط..

كبرتُ..

لكنها ظلت أمّا محاطة بالحبّ.

قصص قصيرة

سُلطة

- تزعجني شفافيّة نصوصكِ!

قالها بعد أن عقد حاجبيه، وزمّ شفتيه.

- هل كنتِ بحاجة لنشر كلّ هذا الغسيل أمام كلِّ هذه الأعين الجائعة؟

- لماذا تفترض أنّها كذلك؟

لا حياة للكلماتِ دون قارئ!

وأنت لا تحبّ أن تقرأَ لي!

ثم إنني أخبرتك ألف مرة:

إنّه ليس من صالح هذا الكون أن أفتقدك.

صدقني ليس من صالحه!

قالت جملتها الأخيرة, وهي تبتسم بلؤم.

- وماذا ستفعلين؟

- قل: وما الذي لن تفعليه ؟

ألقتْ بنظرتها أعلى اليسار، كمن يستحضر شيئًا من الذاكرة، ثم أردفتْ:

سأشعلُ الحرائقَ في جوف الكلمات...!

سأعزفُ على أعصاب الوجع..!

سأكتبُ في كلّ عذر من أعذارك منتهية الصلاحية قصيدة فاضحة؛ تُعرّيها!

- وهل ستخبرينهم من أكون؟-

- طبعًا !

سأخبرهم بأنّك المتغطرس, المنتصب كعلامة تعجب، وأنا العاشقة المنحنية,

كعلامة استفهام.

يا نصفي الثاني:

الكتابة التي تلومني عليها, ليست بديلا عن دفء قلبك.

ليستْ طبيبًا نفسيًّا يمكنني أنْ ألفظك على مقعدهِ قبل أن أخرج من عيادته.

ليستْ تفريغًا لفضّ النّزاع، بل تكثيفًا له.

كنـتُ أظـن أنني بالكتابـة عنـك, سـأنزفك وينتهي الأمـر ، وجـدتني أكتبك تاريخًا وأخلدك!

أرأيتَ كم هي قطعة من عذاب؟

إنّها تجعلنا نُيمم شـطر العـوالم الميتة بداخلنا، لنبث فيها الروح من جديد.

يا سيدي:

عندما أعرض عليك بعض ما أكتبه عنك, ليس لأنّك تحبه.

وليس عليك أنْ تفعل!

هي طريقتي التي أخبرك فيها بأنني أفتقدك، وأحتاج إليك.

ارتباك

- يربكني!

صدقيني كان ومازال يفعل هذا بي رغم الغياب.

إنّه قادر على قراءة سريرتي.

دون أن أتفوه بكلمة.

هل تعلمين أنّه جردني من كلّ تفاصِيلي, وسكبني في تفاصِيله ؟!

أنا لا أحسن إلّا أن أكون هو, ولكن على هيئة أنثى.

- بالتأكيد أنتِ تبالغين ؟!!

- صدقيني هذا ما حدث.

لا أدري كيف فعل هذا ومتى.؟

رغم صمته.

رغم هدوئه.

رغم خجله!

لم يطلب مني, ولم يجبرني, لكنني وجدتني أفعل هكذا دون أن أعلم!

اسمعي: يبدو أن حالتك متأزمة!-

انسيه وعيشي حياتك.

استبدليه بغيره!!

قالت جملتها الأخيرة, وهي ترفع حاجبها الأيسر, وتزم شفتيها أقصى يسار وجهها بدهاء.

- ماذا؟!!

هل هو قطعة أثاث؟

إكسسوار معطوب؟

أستغربُ منك عندما تتحدثين بهذه البساطة عن هذه الأمور!

أظنكِ لم تجربي الحبّ في حياتكِ أبدًا!

كانت صديقتها متكئة قبل هذه الجملة.

عدّلت من هيئة جلستها, وأخذت تهزّ رأسها بسخرية:

- أشفقُ عليك يا صديقتي

أتظنين أنه بعد فراقكما ظلّ متسمرًا أمام تمثال ذكراكِ العظيم؟!

يا حبيبتي:

الرجال لا تكفيهم واحدة.

لا

تَكْ

في

هم

واحدة

نطقت الكلمة الأخيرة, بعد أن حمّلت حرف الواو فيها كميّة من الهواء, لتلفظها بنطقه.

وتبدو أكثر ثقة وإقناعًا.

ثم أكملت:

إنّهم يتعاملون مع النساء كطبق مشويات!

كسلّة فواكه!!

يريدون كلّ الخيارات دفعة واحدة.

الرّجل إذا أحبّ خان!

وإذا لم يحب خان!

وفي كلّ مرة له مبرراته.

خذي أقرب مثال لأكثرهم براءة:

وبدت كمن يقوم بدور على المسرح:

"كانت المرأة الأولى في حياتي..

وأحببتُ أن أعرف هل وقع كلّ النساء على قلبي كوقعك أم لا."

- لكنه ليس كغيره!

أليس لكل قاعدة شواذ؟

ربما هو شذوذ القاعدة!

قالتها, وهي تُكملُ شرب, الماء من الكوب الذي بيدها؛ لتخبئ باقي ملامحها فيه, وهي تنطق جملتها الأخيرة:

هذا ما أثق فيه!

- مغفلة!!

خرجت وأخذتْ الباب في يدها..

بعد أنْ فتحت للجرح ألفَ بابٍ وباب.

رغبة

المساحة هنا غير كافية للبكاء!

قالتها وهي تجيل النظر في مكتبها الواسع الذي تُفضي له كلّ الأبواب.

في مكتبي الصغير كنت أغلق علي الباب؛ لأبكي.

هناك ..كنت أنفعل مع الجمال مسموعًا ومكتوبًا ومقروءاً.

أسافر مع كتبي، وأنا لم أبرح مكاني.

تؤنسني أرواح الشعراء والكتاب والفلاسفة.

اعتصر البكاء وجهها وهي تلتفت إلى باب مكتبها القديم الذي تحوّل إلى (ديزني لاند منزلية)

تفتتت من الداخل عندما رأت أغلفة كتبها ممزقة وملقاة على الأرض!

لم تشأ أن تثير المشاكل.

أطفأت جسدها على الأريكة الملقاة جانبا وغاصت في الدرك الأسفل من الواقع.

أحتاج أن أعتاد هذا الاتساع وهذه الفوضى المباغتة.

- أرجوك هذه الفوضى لا تليق بي

- هل ألقي بأختي وأطفالها في الشارع؟!

أنت تعلمين أنه ليس لها أحد في هذه المدينة سواي.

- لكنها تستطيع الذهاب إلى بيت أهلك في القرية، والداك على قيد الحياة، ومن الطبيعي أن تكون بينهم.

-لكنها لا تريد حياة القرية.

-أختك تغيظني يا غالب.

تفتح دولاب ملابسي بهمجية وتختار ما تشاء دون إذني.

عندما تطلب مني شيئا تتعامل معي كخادمة وهي المتفضلة.

تزج بنفسها في مواقف موغلة في التفاهة معي.

أختك تطفئ خيباتها في أعصابي.

ضع نفسك مكاني أرجوك.

عشر سنوات في هدوء وفجأة يضج البيت صراخًا غير مهذبًا وتعم الفوضى.

رأسي لم يعد يحتمل الصراخ والتخريب.

يطل على قبحه الداخلي قبل أن يجيب:

- أنا سعيد على الأقل نسمع صوت أطفال في هذا المنزل العاقر!

تحفظت على دهشتها.

حاولت ابتلاع عبارته المسمومة بهدوء.

رحمك الله يا أبي!

مازالت عبارتك ترن في أذني: (ليس عندنا بنات للطلاق)

أردت الهروب منذ زمن من هذا الجحيم .

لكنني تأخرت كثيرا.

مازال يتعمد أن يتجاهل أن البيت بيتي.

حديثه المقزز أمام أهله بأنّ البيت بيته.

تحذيره لي كلّ مرة ألا يعلم أحدًا بأنّه بيتي.

شمس الحقيقة باذخة السطوع لكنه يتعمد ألا يراها.

ماذا لو رميت بالتقرير في وجهه؟

ماذا لو علم أنه هو العقيم لا أنا!

أكان يجدر بي أن أقسو على نفسي كلّ هذا الوقت حتى لاأحمل لقب مطلقة؟!!

حزمت كل مالها في هذا البيت البارد.

وكلت محاميا للمضي في إجراءات الطلاق.

عرضت بيتها للبيع, وبأول سعر باعته, وابتاعت لها ببعض ثمنه شقة.

تجددت!

أزهرت

تنفست هواء نقيًّا

وأخذت تُدوزنُ نبضاتِ قلبها وتترنم:

"على هذه الأرض ما يستحقُّ الحياة" .

إنصاف

كل الذين يغنون للحزن احتشدوا في أعصابها تلك الليلة يعزفون للحزن مقطوعات من ألم نازف.

كانت في طريقها إلى المكتبة لشراء الكتب التي طلبتها دكتورة مادة الكيمياء عندما استقبلت مكالمته التي يزف فيها خبر تهشيمها.

ذهبت بحزنها إلى هناك.

فور دخولها للمكتبة رأت الناس ما بين قادم ورائح: البعض ممسك بيد طفله, والبعض بيد أخته والبعض بيد زوجه.

بشعور أناني يسربله الوجع تساءلت:

كيف يمارسون الحياة أمام مذبوحة منذ دقائق لم يجف دمها؟!!

أنا أتألم تعالوا اقتسموا هذا الوجع معي

أخبروا العالم أني أول ميتة تحملها قدمان

في جوفها بركان تلفها حممه نار تشتعل في أعصابها.

لاذت بأحد الأرفف المركونة على الجدار واستسلمت للبكاء دون صوت:

أنا أتألم..

النار تلتهمني ..

خرجت مسرعة .. .

هرولت بغير وجهه على الرصيف المؤدي إلى الطريق الرئيسي.

أخذت تبكي بصوت مرتفع لتتحرر.

سقطت دون أن تشعر ولم تفق إلا في المستوصف وعلى رأسها والدها وأخيها الأكبر.

كانوا قد فتشوا هاتفها المحمول

وثبوتاتها خشية أن تكون تعرضت لسرقة أو اختطاف.

أخوها الغاضب: ما الذي جعلك تذهبين دون سائق؟

والدها بنظرات بين الشك والرحمة:

ارتاحي ارتاحي!

اغمضت عينيها حتى لا توجه لها المزيد من أسئلة الشك.

سمعت صوت من بعيد:

انهيار عصبي..

صدمة عاطفية ..

يمكنك أن تنقلها إلى مستشفى حكومي هناك أفضل.

كادت أن تقفز لتؤكد كلامه بنعم هو أفضل.

هي بحاجة لمساحات شاسعة للبكاء..

للحديث مع نفسها عن أوّل الخيبات.

تحتاج أن تصرخ: من سلمته قلبي تزوج بأعز صديقاتي لأنني رفضت أن أنسل من ديني وعفتي.

مضى عمر!

قالتها وهي تنظر لطفلها ابن عامه الثالث, وهو يمسك بيدها, وبيد والده ويردد:

أنتما أحلى اثنين.

ألتفتت لذلك الرجل الطيب بابتسامة رضا.

أغمضت عينيها وتمتمت -رحمهما الله-!

كانت قد مضت عشرة أعوام على وفاة أعزّ صديقة لها مع زوجها وهما في شهر العسل في سنغافورة في حادث انقلاب تاكسي أجرة.

زوجها الذي رمى بها والدها في حضنه بعد تلك الحادثة ليلمعها من التدنيس, هو الآخر مكلوم !

كان قد تزوج بأمريكية وهو في بعثته لدراسة الطبّ وقد أنجب منها طفلين, تحولت حضانتهما لأمهما بعد الطلاق .

كلاهما يرمم نفسه بالآخر.

.....

زوجها الهادئ لم يسألها عن تقلباتها؛ لأنّه يظنها تعاني الاكتئاب المزمن كما قيل له.

حرص على إسعادها ليسعد هو أيضًا.

أحزان صامتة

بعض الأحزان شهيتها مفتوحة!

تلتهم الروح، ولا تشبعها مصائب الكون بأسره؛ لتكف عن شراهتها.

حين نقعُ فريسة لها، سيغدو كلّ حزن يعبرنا وجبًا مقنعًا حدّ استدرار البكاء.

سنغترف منه ملء قلوبنا.

سنكتب حزنًا، ونلفظُ حزنًا، ونزفرُ حزنًا.

فالأفكار الجنائزية، لا تحتاج لمحفز كبير ،لتأتي بعدتها وعتادها.

إنّها لا تحتاج لأكثر من أرض هشة قابلة للنحيب، واجترار الأوجاع كل وقت.

كل هذه الحقائق لم تكن تعلم بها صديقتي التي اعتادت منذ عام٢٠٠٩ وحتى قبل شهر ألا تسمعني إلا صوت أوجاعها الهشة..

كان يطربها أن تحيل كلّ تلك النحوس لإصابتها بالعين، وأنا في كل تلك المزاعم لا أملك إلا أن أطبب لها الجراح ، مستلهمة منها العزاء.

كنت كلما أغلقت سماعة الهاتف مني، أبكيني!

لم أكن أخبرها بالنكبات التي حلت بي، حتى أني لم أخبرها بعدد من فقدت، ومتى فقدت، وماذا أخذوا معهم مني قبل أن يرحلوا.

منذ ثمانية أشهر، عرفتْ من مواقع التواصل بأن الموت اختار صفية روحي، فاتصلت بي تعزيني.

يومها كنتُ قد فقدتُ شيئا آخر لم أخبر هابه، فاجتمع عليّ حزنان لا طاقة لي بهما.

كنت هشة بما يكفي!

بعد أن تقدمتْ لي بالعزاء، أخذتْ تشكو لي من أختها اللاهية عنها ببيتها، وخذلان زوجات أخوتها لها عندما أرادت أن تذهب لحفلة وتضع أولادها عندهم!!

كان قلبي يتفطر ألمًا!..

تمنيت لو أن حزني كحزنها هذا الذي تتحدث عنه.

أقفلت الهاتف في منتصف المكالمة قبل أن أستأذنها، ولم أفتحه ثلاثة أيام..!!

ليس أوجع من أن تكون منفى للأحزان، لأنّك حزن صامت!!

مزاجيّة

كانت لا تحتاج لأكثر من ثناء يعيد لها ثقتها بنفسها.

وكنتُ أفعل!

ما كان لافتًا, ولم يلفتني أنّ كلّ صداقاتها لم تكن تدم!

تتشبث بكل الغرباء الجدد الذين لديهم كاريزما في اللبس وماتلبث أن تملهم, أو هم يملونها!

تحب أن تستعرض أمامي كلّما زرتها, وزارتني بأيّ شيء يتطلب الثناء.

عرفت ما الذي ينقصها فمنحتها إياه.

حاولت أن أستعيد معها ثقتها, فأنا ضد امتهان الشخص لشيء ليس بيده.

مع الوقت بدا لي عورها.

كانت تتشدقُ بتفاهات, تنحصر في غيضها من كلّ من هي أفضل منها.

رغبتها في أن تنطلق؛ لتضيء ويعتم من عداها.

عقلها النّاقص وروحها الأشد نقصًا!

سعار مستمر تجاه ما يجعلها شامخة الظاهر, حتى وإن ظلت هزيلة الأعماق.

أدركتُ أنني أمام مريضة لن تُشفى على يدي, فهربت منها؛ تاركة مشقة التورط بها لغيري, في لحظة جبن!

روحكِ مشروخة يا صديقتي, وروحي ما عادت تحتمل الأرواح المشروخة, فسامحيني على خذلانكِ.

أن تكون من بيننا ضحيّة واحدة, خير من أن نكون ضحيتين.

سندبادها

لا تملك معه وفي غيابه إلا أن تستلم لابتسامة عريضة تضحكها من القلب في حضوره .

السندباد الذي يريد أن يعيش الحياة عازبا بشرط أن يكون له زوجة وأولاد يحبهم .لكنه يريد منهم أن يتدبروا الحياة بدونه!

يمدهم بالمال كما تفعل الحكومات في ضخ الأموال لمؤسساتها, ويقول لهم: سيحوا في الأرض.

لم يعلم أن بعض الفرح لا يكون إلا به ومعه.

لم يعلم بأنها ربما تستطيع أن تعوض هؤلاء السائحين معها؛ لأنها أحد القطبين, لكنها لن تجد من يعوضها.

العشرة الطويلة ليست كافية؛ لرمي الحمل على الشريك المبادر, لمجرد أنّه طوال العمر مشعلًا أصابعه العشرة؛ ليضيء لهم.

خيبة وحزن

أمام شباك التذاكر

قصّ تذكرتين:

تذكرة لحزنه..

وأخرى لخيبته!

لملمها في صُرّته.

وأخذ يجوب حدود خيباته العرجاء

بأمانٍ فارغة.

كلما صادف امرأة في الطريق سحقها!

ومشى مجهولًا لا يلوي على شيء!

كان عليه ألا يحولها إلى أنثى مرئية، وهي صاحبة الحضور الهش في هذا العالم.

وهو القصيدة الفاخرة التي احتضنت لفظة نكرة، ملت دور الجثة في القاموس.

كان يجدر بها أن تكون أكثر امتنانًا تلك الجاحدة.

ذاكرته المأهولة بها مصابة بفايروس التذكر.

فـراغ غيابهـا ورحيلهـا، جعـل منـه جثـة هامـدة بـأعين مشـرعة على الخيبات.

رحلت وجعلت له جرحًا فاغرًا فاه.

ما إن يتماسك حتى يتفكك. والجرح هو الجرح.

كان يجدر بها أن تتشبث به أكثر.

ولأنّها لم تفعل، استحقت هي وكلّ بنات جنسها السحق!!

قصص قصيرة جدًا

نرجسيّة

بِنُخْبَويّة تامة.

وبغطرسةٍ لامتناهية.

يختارُ أصدقاءَه.

حَشَرَني معهم.

هو: لا ينسى في كلّ مرة أنْ يضعَ سبابتَهُ بين عينيّ، ليذكرَني بذوقِهِ الاصطفائي.

أنا: لا أنسى في كلِّ مرةٍ أن أتمنى مغادرةَ عالمَه، لكنني لا أفعل!

مراوغة

كان حذرًا بما يكفي ليدّعيَ بأنّهُ رجلٌ يحملُ ذاكرةً مثقوبةً.

حتى لا يتورطَ معها بتواريخٍ، تُحيلُ التفاصيلَ إلى مناسباتٍ تستحقُ الاحتفاءَ.

كان حذرًا لا يُثقلُ كلماتَهُ معها بالمعاني التي تُشرّعُ أبوابَ الافتتانِ به.

هو: كلُّ ما يمكنُ أنْ يكونَ جميلًا في حياةٍ جدباء.

هي: مدينةٌ جدباءٌ، يُغْرقُها المطر!

دنجوان

كان يعرفُ جيّدًا ماذا يعني أنْ يبدأَ الصباحُ بامرأةٍ لرّجلٍ مِثلهِ

وهو الذي قد جزمَ بأّنهُ لا يصلحُ زوجًا رُغْمَ دنجوانيتِه.

كان قلبُهُ مرتعًا خَصْبًا لقلوبِ العذارى.

هو: لا يعدُهُنَّ !

لكنهُ لا يَصُدَهُنَّ

المهم: أنّه لا يجيرُ أحدًا

وكُلّهُنَّ يأتينَهُ طواعيةً.

هكذا كان يبتاعُ راحةَ ضميرهِ..

غيرَ عابئٍ بقلوبِهن التي ترتطمُ بشبابيكِ قلبهِ الزّجاجي.

حبّ

كُنّا صغارًا عندما حذرونَا منه.

شَكُّوا.

فتّشوا.

استرقوا السمعَ.

وعندما كَبُرْنا:

تعرّفَ هو علينا.

تركَ كُلَّ شيءٍ.

واختبأَ في قلوبنا.

تَشَبُّث

عالقةٌ في داخِلِها.

عبَرها الكثيرُ مِمّنْ أحبُوها ولم تُحبُّهُم.

وعندما أحببتْ, عبرها مَنْ تُحِبُّ, مخلفًا وراءِهِ

امرأةٍ لا تجيدُ أنْ تكونَ شيئًا بدونه!

كلُّ البداياتِ المدهشةِ

والتجاربِ اللذيذةِ

عاشتْها معه!

مَعَهُ خَطّتْ أوّلَ بواكيرِ كلّ شيء

ذهبَ هو..

وبقيتْ هي عالقةً داخلَها!

دهْسة

كلامه لوحة فنية جميلة, يؤطرها بعذوبة صوته, وتمثيله للمعنى دون تكلّف.

يندهش, فيدهشني.

يسخرُ فلا أملك إلا الضحك المتواصل معه.

كان عالمًا, يستحق الاكتشاف.

اكتشفته!

فتحولت الدهشة إلى دهسة!

ذاكرة الآباء ..ذاكرة خضراء

يستلّهم من الذاكرة بصمت.

يرتشف ملامحهم بسكينة وهدوء.

لا ينفخ جمر الأسئلة, أو حتى يشعل جذوتها.

كان يكتفي بأن يعيشهم من إبصار الشمس حتى المساء.

بينما همّ مشغولون بالحياة عنه.

شُهرة

ينتحلُ شخصيات من الوهم.

يصنع بها لنفسه مجدًا.

يسرق كتاباته باسم.

ويدخل باسم آخر؛ ليدافع عنها!

تضخّم

كان حادًا صارمًا حتى ظَلم, وظُلِم

ناصر قضيته بمفرده, فانتصر, وحاز مجدًا

لم يدرك أن (الأنا) عنده كانت تتضخم بمرور الوقت, حتى ضاقت به, وبها الأمكنة, فلفظتهما معًا.

لصوص نت

يسرق أفكار المغمورين فور خروجها.

يجربها باسمه في مكان آخر.

ليوهم الآخرين بأنّه صاحب فكر خلّاق.

غضب الرجال

بعد أن علم بخيانة صديقه الذي جعله ساعده الأيمن, رفع عليه سماعة الهاتف :

- فضلا أحمل كل ما يخصك وارحل, لا أريد أن أراك بعد اليوم في مكتبي.

توجه صديقه لجهاز الحاسب الذي عليه قاعدة بيانات العمل.

أخذ نسخة ورقية, ثم حذف كلّ ما على الجهاز ورحل!

عاد من عمله ليتحدث عن القصة كأمر مسلم به..

أمسك بالريموت فتح على قناة العربية, وأخذ يتابع مصائب العالم بصمت!

غضب الرجال عظيم في مداواته!!

سيرة

أرادتْ أن تؤثثَ لنفسها سيرة ملفقة لا تشبهها!

جربتْ أن تُرتلَ على مسمع صديقتها الوحيدة بعض زيفها؛ لتقنعها به!

لكنها تتفاجأ في كلّ مرة أنها لا تقتنع!

وأن ذاكرتها مازالت تعرفها جيّدا.

وحدها كانت تعرف زيفها.

تعرف إرثها الضعيف!

ولأنّه لم يصحبها من ذلك الماضي أحدٌ سواها

كانت أوّل من يستحق أن يُضحى به!

تسوّل

كتب حرفين!

امتدحه كاتبان بعد أن تسولهما الثناء.

اشرأبّ..

تعاظم...

أصبح يراهم من أعلى قمة جبله, أقزامًا تزدريهم عينه!

صبر

كمروّضة أسود صبورة تقفُ بينها, وبين جزعها.

روحها المُتوجِّعة في رسن الأقدار, تتحاشى أن تنسلّ الألآم إلى صباحاتها.

تقفُ كمترهبنة, متمرّنة، ترتدي رباطة الجأش, رغم الدّرب الحصوي, الذي يفقدها توازنها.

كانت تعرف جيّدا أين تذهب الأحلام الصغيرة لتموت.

لذا حرصت أن تظل كمروضة الأسود حتى لا تفقد صغار أحلامها.

المحتويات

مقدمة 4
الرسالة الأولى 6
الرسالة الثانية 9
الرسالة الثالثة 15
الرسالة الرابعة 20
الرسالة الخامسة 23
الرسالة السادسة 27
الرسالة السابعة 31
الرسالة الثامنة 37
الرسالة التاسعة 43
قصص قصيرة 47
سُلطة 48
ارتباك 51
رغبة 55
إنصاف 59

أحزان صامتة 63
مزاجيّة 65
سندبادها 67
خيبة وحزن 68
قصص قصيرة جدًا 70
نرجسيّة 71
مراوغة 72
دنجوان 73
حبّ 74
تَشَبُّث 75
دهْسة 76
ذاكرة الآباء ..ذاكرة خضراء 77
شُهرة 78
تضخّم 79
لصوص نت 80
غضب الرجال 81
سيرة 82
تسوّل 83

صبر 84